172 - ـ فصل : بين الإسراف و الإعتدال .

قوام الآدمي بشيئين : الحرارة و الرطوبة .

و من شأن الحرارة أن تحلل الرطوبة و تفنيها فلأدمي محتاج إلى تحصيل خلف المتحلل .

فأبدان النشئ تغتدي بأكثر مما يتحلل منها .

و الأبدان المتناهية تغتذي بمقدار ما يتحلل منها و الأبدان التي قد أخذت في الهرم يتحلل منها أكثر مما تغتذي به فينبغي للناشئ البالغ أن يتحفظ في النكاح لأنه يربي قاعدة قوة يجد أثرها في الكبر .

و أما المتوسط و الواقف فينبغي أن يحذر فضول الجماع فإن حصل له مثل ما يخرج منه فأسرف فاللازم أخذ من الحاصل و يوشك أن يسرع النفاد .

و أما الشيخ فترك النكاح كاللازم له خصوصا إذا زاد علو السن لأنه ينفق من الجوهر الذي لا يحصل مثله أبدا .

ثم ينبغي أن ينظر العاقل في ماله فيكتسب أكثر مما ينفق ليكون الفاضل مدخرا لوقت العجز .

و ليحذر السرف فإن العدل هو الأصلح .

ثم ينظر الزوجة و المطلوب منها شيئان : وجود الولد و تدبير المنزل فإذا كانت مبذرة فعيب لا يحتمل فإن إنضمت صفة العقر فلا وجه للإمساك إلا أن تكون مستحسنة الصورة فإن ضم إليها عقل و عفاف حسن الإمساك .

و إن كان مما يحتاج أن تحفظ فتركها لازم .

فأما الخدم فليجتهد في تحصيل خادم لا تستعبده الشهوة فإن عبد الشهوة له مولى غير سيده .

و لينظر المالك في طبع المملوك فمنهم من لا يأتي إلا على الإكرام فليكرمه فإنه يربح محبته .

و منهم من لا يأتي إلا على الإهانة فليداره و ليعرض عن الذنوب .

فإن لم يمكن عاتب بلطف و ليحذر العقوبة ما أمكن و ليجعل للماليك زمن راحة .

و العجب ممن يعنى بدابته و ينسى مداراة جاريته و أجود الممالك الصغار و كذلك الزوجات لأنهم متعودون خلق المشتري .

و ليحفظ نفسه بالهيبة من الانحراف مع الزوجة و لا يطلعها على ماله فإنها سفيهة تطلب

كثرة الإنفاق و أما تدبير الأولاد فحفظهم من مخالطة تفسد و متى كان الصبي ذا أنفة ـ حييا ـ رجي خيره .

و ليحمل على صحبة الأشراف و العلماء و ليحذر من مصاحبته الجهال و السفهاء فإن الطبع لص .

و ليحذر الصبي من الكذب غاية التحذير و من المخالطة للصبيان و ليوصه بزيادة البر للوالدين و ليحفظ من مخالطة النساء .

فإذا بلغ فليزوج بصبيه فينتفعان هذه الإشارة إلى تدبير أمور الدنيا .

فأما تدبير العلم فينبغي أن يحمل الصبي من حين يبلغ خمس سنين على التشاغل بالقرآن و الفقه و سماع الحديث .

و ليحصل له المحفوظات أكثر من المسموعات لأن زمان الحفظ إلى خمس عشرة سنة فإذا بلغ تشتت همته فليضرب تارة و يرشي أخرى ليبلغ و قد حصل محفوظات سنية .

و أول ما ينبغي أن يكلف حفظ القرآن متقنا فإنه يثبت و يختلط باللحم و الدم ثم مقدمة من النحو يعرف بها اللحن ثم الفقه مذهبا و خلافا و ما أمكن بعد هذا من العلوم فحفظه حسن .

و ليحذر من عادات أصحاب الحديث فإنهم يفنون الزمان في سماع الأجزاء التي تتكرر فيها الأحاديث فيذهب العمر و ما حصلوا فهم شيء .

فإذا بالغوا سنا طلبوا جواز فتوى أو قراءة جزء من القرآن فعادوا القهقرى .

لأنهم يحفظون بعد كبر السن فلا يحصل مقصودهم فالحفظ في الصبا للمهم من العلم أصل عظيم .

و قد رأينا كثيرا ممن تشاغل بالمسموعات و كتابة الأجزاء و رأى الحفظ صعبا فمال إلى الأسهل فمضى عمره في ذلك .

فلما احتاج إلى نفسه قعد يتحفظ على كبر فلم يحصل مقصوده .

فاليقظة لفهم ما ذكرت و انظر في الإخلاص فما ينفع شيء دونه